مجلة رسالة المسجد

الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

المجلد 20/ العدد: 2
(1444هـ – 2022م)،
ص 07 - 26

مسلك القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف
في تأصيل مسمّى شجرة الإيمان –دراسة تأصيلية-

Curriculum of the Holy Quran and Sunnah
In the statement of the branches of faith –Analytical Study-

الدكتور/ زكرياء الغبريني

By DR. Zakaria GHOBRINI

إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف

أستاذ محاضر بجامعة الشهيد حمّة لخضر – وادي سوف- سابقا

تاريخ الاستلام: 2022/12/23 تاريخ القبول: 2022/12/30 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

لما كانت قوة البناء ترجع لأصل الأساس وصلابته، فإن استمداد كل أصل وصلاحه يرجع لطبيعة انتقاء مادته الأولى في البناء والمراصّة والتشييد، ولأجل ذا: كان طيب الثمرة من طيب الشجرة، وشرف مذاقها بشرف سِقائها وتعاهُدِ ترابها محل غرسها، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿24﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿25﴾ ﴾ سورة إبراهيم 24 - 25، والمتأمل في القرآن الكريم يستشعر مقاصد البناء الإيماني بصريح دعوة الناس إليه، ومن جهة أخرى نجد أن المنقب في الهدي النبوي الشريف يجده يعجّ بهذه المعاني الفذة إبان تربية النبي ﷺ لصحابته، فضلا عن انتهاج التابعين رضي الله عنهم المنهج نفسه في تلقيهم مسائل العقيدة والإيمان من جموع هؤلاء الصحابة، فغدت بذلك أصلاً مرجعيا ناجعاً يؤتي أُكله إزاء أي تحدٍ أو مطبّ في المعتقد والتصوّر والسلوك، والباحث حين يأصّل لهذا المسمّى إنما هو يستقرأ لبنائه وتحديد معالم مرجعيته من منظور تأصيلي، فالمرجعية الصحيحة مظنّة الثبات ولزوم سكّة النجاة، إذ إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وبيان تلك المرجعية وفق أصولها وطرائق استمدادها من حيث الاستنباط والاستقراء لنصوص الوحيين باتت مهمة كبرى تقع على الدعاة والمربين قاطبة، لئلا تتشتّتَ العقول وتزيغ القلوب، ذلك أن مفهوم الإيمان لا يُقتصر في تحقيقه الإتيان بأصوله الستة مفهوماً وتطبيقاً، إنما له شعب يتفاوت الناس فيها وعلى إثرها يتباين ثوابهم وأجرهم عند الله تعالى، لا كما زعمت به بعض الفرق المنحرفة، من جعلهم الإيمان كتلة واحدة لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، فقضوا بمفهومهم ذاك تخليد صاحب الكبيرة في النار، والموفق من تمعّن في المنهجين القرآني والنبوي وسلك مسلكهما في تحقيق ذلك دون غلو أو إجحاف، ومن هذا المنطلق نبعت فكرة الموضوع لدى الباحث.

كلمات مفتاحية: (القرآن الكريم، الهدي النبوي الشريف، السنة، الإيمان، شعب الإيمان، الفقه الأكبر)

ABSTRACT:
Since the strength of the building is due to the origin and solidity of the foundation, the derive- in of each foundation and its validity is due to the nature of selecting its first material in building, compacting and construction, and for the sake of that the good fruit is from the goodness of the tree, and the honor of its taste is with the honor of watering it and the pledge of its soil where it is planted.
And the prospector in the honorable prophetic guidance finds these unique meanings during the Prophet's upbringing of his companions, this is in addition to the followers' approach, may God be pleased with them, the same approach in their receiving the creed and faith from these companions, so it became originally a successful reference that bears fruit in the face of every challenge or bump, and the researcher when he originates this name Rather, it communicates its construction and defines the parameters of its reference, The correct reference is the assumption of steadfastness and the necessity of the path of salvation, because the last of this nation is not corrected except by what corrected its first, and the statement of that reference according to its origins and its sound extension in terms of deduction and induction has become a major task that falls on the preachers and educators as a whole.
So that minds will not be distracted and hearts will not deviate, as the concept of faith is not limited to realizing its six principles, but rather it has a people in which people differ and as a result their reward and reward differ with God Almighty, and the conciliator is he who examines the Qur'anic and Prophetic approaches and follows their path in achieving this, and from this starting point stemmed from The idea of the topic for the researcher.
Keywords: (the Holy Qur'an, the Prophet's guidance, Sunnah, faith, people of faith)

- **توطئة**

بدأ النبي ﷺ تربيته لصحابته وأبناء صحابته رضوان الله عليهم إبان العهدين المكي والمدني، بتأصيل معالم العقيدة الصحيحة وترسيخ معالم الإيمان الذي تستقرّ به النّفوس وتصفو على إثره القلوب، فتسمو بذلك أرواحهم، وتصقل عقيدتهم، وتطهّر نفوسهم من أدران الشرك والموروث الجاهلي أنذاك، وهكذا تناقل التابعين عن الصحابة وتابعي التابعين عن التابعين هذه التربية غضة طرية كما علمهم إياها نبيهم ﷺ ، فاكتمل بذلك نضجهم وقوي اعتقادهم وعبدوا ربهم على وتيرة التوحيد والإخلاص حتى أتاهم اليقين، والمتأمل في ثنايا تلك التربية الإيمانية يلفي أنها لم تكن مجرد خواطر وقصص تسرد في نفوس ناشئة الصحابة، بل كانت منهجا متكاملاً له أسسه وغاياته وأهدافه، سمته الشمول والاتزان، ولو لم تكن لتلك التربية من الأهمية البالغة لم يوليها النبي ﷺ تلك العناية والدعوة إليها، ولما تناقلها التابعون عن الصحابة جيلاً بعد جيل، رغم كل العقبات وتحديات الشرك والكفر صداً عن المنهج القويم والصراط المستقيم،

ليدخلوا بذلك جميعاً في الوصف القرآني الذي ثنّاهُ الله بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿29﴾﴾ سورة الفتح 29، ولبيان ذلك أكثر نفصل مبحثنا هذا وفق المباحث التالية:

المبحث الأول: المفاهيمي في بيان

1-1 مفهوم القرآن الكريم:

أ)القرآن في اللغة:

اختلفت آراء اللغويين حول أصل كلمة (القرآن) نحو اتجاهين كالتالي:

الاتجاه الأول: أن القرآن اسم علمي لكتاب الله تعالى، وأنه غير مشتق.

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن لفظ القرآن مشتقٌ، واختلفوا في مصدره على ثلاثة ضروب:

إما من قرأ بمعنى تلا، وعلى هذا سمي بالمقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.

أو كونه وصفٌ مشتق من القرء، بمعنى الجمع. [الطبري 1421هـ، ص 189/29].

أو أنه من القرآئن. [السيوطي، 1974م، 01/50-51]

ب)القرآن في الاصطلاح: .

"هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ منجماً بواسطة جبريل عليه السلام، الموجود بين الدُفَّتين".

1-2 في بيان مفهوم السنة النبوية:

أ)السنّة في اللغة:

هي السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة [ابن منظور، (225/13)]، وإنما سميت بذلك لأنها تجري جرياً [ابن فارس، (61/03)]، وقد ورد في القرآن الكريم إطلاق السنة على العادة المستمرة والطريقة المتبعة، كما في قوله تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ سورة آل عمران 137، وكذا قوله عزوجل: ﴿وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿38﴾﴾ سورة الأنفال38.

ويؤيدُ هذا المعنى ما رواهُ جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من سنَّ في الإسلام سنةً حسنة فعمل بها بعده كتبَ له مثلُ أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنّة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثلُ وزر من عمل بها ولا ينقصُ من أوزارهم شيء"** رواهُ مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، برقم: (1017/01).

ب) السنّة في الاصطلاح: .

تباينت إطلاقات السنة في الاصطلاح على عدّة مسميات نذكر منها ما يلي:

- عند المحدّثين والأصوليين يرادُ بالسنّة: [ما أثر عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته] (ابن حجر العسقلاني: (245/13).
- أما عند جمهور الفقهاء فتطلق السنّة على ما يقابل الفرض وغيره من الأحكام الخمسة. [مرجع سابق].
- وتطلق السنّة في مقابل البدعة، وتكون شاملة للدين سواء كان اعتقاداً أو عملاً أو قولاً. [الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، (ت 790هـ): ص 490/4].

1-3 في بيان مفهوم الإيمان:

أ) الإيمان لغة:

الإيمان مصدر من الفعل آمَنَ، وأصل آمن (أَأْمَنَ) بهمزتين لُيِّنَتْ الثانية، ومنه: المُهَيْمِنُ، وأصلهُ مُؤَأْمِنٌ، لُيِّنَتْ الثانية وقلبت ياءً، وقُلبت الأولى هاءً. [الجوهري، إسماعيل بن حماد، (2081/5)].

وقال الراغب: "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف [الراغب الأصفهاني، 1473هـ، ص 135].

ووردت لفظة الإيمان ضمن معانٍ لغوية متعددة منها:

التصديق: تقولُ: آمنتُ بالشيء إيماناً أي صدقتُ به [الأزهري: محمد بن أحمد، ص: (513/15)]، وقوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ (17) ﴾ سورة يوسف 17 بمصدقٍ لنا.

- الثقة: يقال "ما آمن أن يجد صحابةً إيماناً، أي: ما وثق، [الجوهري والأزهري مرجع سابق].
- الطمأنينة: يقال "أَمِنَ أَمْناً وأَماناً، أي: اطمأنَّ فهو أمِنٌ وآمِنٌ. [م/س].

قال الراغبُ الأصفهانيّ: "أصلُ الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر".

- الإقرار: لفظة "أقرَّ" أصدق في الدلالة على معنى الإيمان من غيرها من الألفاظ التي فسر بها الإيمان، ولأن "قَرَّ" و "آمن" متقاربان، فالإيمان دخولٌ في الأمن، والإقرارُ دخولٌ في الإقرار، ولأن الإيمان مأخوذٌ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما أن لفظ الإقرار مأخوذٌ من قَرَّ يَقِرُّ، وهو قريبٌ من آمن يؤمنُ، والإقرارُ ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعملُ القلب الذي هو الانقياد، كما أن الإقرار هو الاعتراف بالله والعبادة له، في حين أن لفظة آمن تختلف عن لفظة صدّق من جهة التعدِّي، وبالتالي ليس بينهما ترادف في المعنى، فإن الإيمان لا يستخدم إلا في الأمور التي يُؤتمنُ فيها المُخبر مثل الأمور الغيبية، لأنه مشتق من الأمن، أما الأمور

المشاهدة والمحسوسة فهذه لا يصلح أن يقالُ فيها: (آمن) وإنّما يقالُ: صدَّق، لأن كل مُخبرٍ عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت كما يقالُ كذبتَ، أما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب. [م/س].

أ) الإيمان شرعاً:

انطلاقا من التعريف اللغوي المفضي إلى كون الإيمان يتضمن معنى زائداً عن مجرد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف بالشيء، فهو حينئذ أمرٌ عمليّ اعتقادي، وبالتالي يمكن تعريف الإيمان شرعاً بما هو متقرر عند أهل السنة من أنه: "قولٌ باللسان واعتقادٌ بالجنان وعملٌ بالأركان يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالعصيان".

والمرادُ بالقول والعمل هو: العبادات القولية والعملية الظاهر منها والباطن، قال القاضي أبو يعلى رحمه الله في تعريف الإيمان (هو جميعُ الطاعات الباطنة والظاهرة، فالباطنة أعمال القلب وهو تصديقه، والظاهرة أعمالُ البدن الواجبات والمندوبات. [القاضي أبي يعلى: مسائل الإيمان، ص 152].

ومما يؤيد هذا المعنى ما بينه النبي ﷺ في حديث الشعب حيث قال: **"الإيمانُ بضعةٌ وسبعون-أو بضعةٌ وستون شعبة - فأعلاها: قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان" [رواهُ البخاري في صحيحه بلفظ: (بضعٌ وستون"**، كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان، حديث رقم: (09). ومسلم في صحيحه بلفظ: (بضعٌ وسبعون)، كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم: (35)].

فأخبر ﷺ أن الإيمان أصلٌ لهُ شعبٌ متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاةُ من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق.

المبحث الثاني: التأصيلي

1.1 مسلك القرآن الكريم في البناء الإيماني:

1.1.1 المسلك العقدي:

عجّت آيات القرآن الكريم بصريح الدعوة لترسيخ العقيدة الحنيفية السمحة في نفوس المؤمنين، ذلك إن الله تعالى خاطب القلوب والعقول لتزكو بنور الإيمان وتهتدي ببريق الطاعات، في حين حذرها من ضنك العيش وضيق الصدر وزيغ القلب إبّان سُلوك طريق الشرك والضلال، ومن أوجه ذلك ما يلي:

- **إثبات وجود الله و وحدانيته:**

إن تعداد نعم الله من أعظم المسالك لترسيخ العقيدة الحقّة في نفوس الناس، حيث أن ذلك يقتضي النظر والتأمل للذي أوجدها وما يلزمُ حيالهُ من شكر وتوحيد وإجلال، قال تعالى ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿59﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا

بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ (60) أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (61) أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (63) أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (64)﴾ سورة النمل 59 -64، فتعداد النعم إذن من أقوى مسالك ترسيخ العقيدة الإسلامية، لما يتأتى إبانها من وجوب الشكر والامتثال لأمر الله، فاليقين بالنعم يوجب شكر المنعم، وشكرُ المنعم يوجب إفرادهُ بالربوبية والألوهية.

- **بيان خطورة الشرك وشؤم النِدّ:**

زجر الله تعالى عن اتخاذ الأنداد في العبادة معه سبحانه، وذلك بما حكاهُ عن خصومة المتبوعين لأتباعهم يوم القيامة، ومعاينة المشركين لعذاب رب العالمين، وفي ذلك أبلغ العظة لمن أراد أن يتعظ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ (165) إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ (166)﴾ سورة البقرة 165 - 166، قال أبو السعود رحمه الله: "إذ به – أي بذكر مآل المشركين - يتأتّى التوبيخ ويتسنى التقريعُ والتبكيت". [أبي السعود، محمد بن محمد العمادي: د.ت، ص: (100/03)].

- **تقرير مآل المؤمن ومصير الموحد:**

يذكر الله تعالى في كتابه آياتٍ تزيدُ المؤمن شغفاً للقاء ربه، فهو في كل حينه متلبساً بثوب الإيمان وزينته، لكن ما الذي يعينُ العبد على دوامِ تلك الحال ومجابهة ما يشوبها من عقبات وتحديات؟، هنا يأتي ذكر المكافأة الكبرى التي ينالها الإنسان في الآخرة، مما يزيدُ من همته ويضافرُ جهدهُ، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (25)﴾ سورة البقرة 25.

- **تقرير مآل الكافر ومصير المرتد:**

يقرر الرب تعالى في كتابه الكريم منهجاً حكيماً يذكرُ من خلاله الدعوة للإيمان والاستزادة منه مع ذكر الفضل والأثر المترتب عليه، ثم يعقبه بذكر عاقبة من كفر بذلك ذاكراً الويلات التي تلحقهُ إبان جحده بآيات ربه وبكتبه ورسله، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿136﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿137﴾ ﴾سورة النساء 136- 137.

1.1.2 المسلك التعبّدي

يولي القرآن الكريم عنايةً فائقة لضمان العبادة الصحيحة للمؤمنين من خلال ضمان تحقيق شرطيها وهما: إخلاصُ الدين لله، ومتابعة هدي النبي ﷺ لئلا تتشتت مفاهيم العبادة لدى الناس، وتضمنت جملة من تلك الآيات ما يلي:

- **التوجيه بإخلاص الدين لله:**

يُربي القرآن الكريم العباد على ضرورة إخلاص الدين لله تعالى لئلا تختطفهم الأهواء وتنجرف بهم الآراء والخواطر، والإخلاص سرُ قبول الأعمال وبركة دوامها والاستمرار عليها، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿2﴾ ﴾ سورة الزمر2، وقال أيضاً معززاً هذه الشعبة العظيمة: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿11﴾ ﴾ سورة الزمر11، وقال أيضا مبينا ضرورة الامتثال لمبدأ الإخلاص له سبحانه في العبادات: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿14﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ سورة الزمر14- 15.

- **الأمر بتقوى الله وعبادته وحده:**

تقوى الله في السر والعلن إحدى أهم العوامل المقوية لعقيدة الإنسان وثباته على الحق والدين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة21، ودعوة الرسل قاطبة لا تخلوا من دعوة أقوامهم لإخلاص الدين والعبادة لله تعالى، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في دعوة عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿72﴾ ﴾سورة المائدة 72، وفي دعوة نوح عليه

السلام قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿59﴾﴾ سورة الأعراف 59، وفي دعوة هود عليه السلام قال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿50﴾﴾ سورة هود 50، وفي حق إبراهيم قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿16﴾﴾ سورة العنكبوت 16، ففي مجمل الآيات تقرير صحيح أن التوجيه لعبادة الله تعالى ركيزةٌ أساس لبناء عقيدة صحيحة وراسخة، وهذا ما لم يغفله جلُ الأنبياء مع أقوامهم قبل البداءة في تفعيل شعب الإيمان.

- **بيان النموذج الأسوة والقدوة في العبادة:**

يتأكدُ هذا البيان في أن الله تعالى ساق لعباده من الآيات ما يخولهم اتباع النموذج الأعلى في تلقي أمور عباداتهم ومعاملاتهم، وتتجلى حكمة ذلك في أن المؤمنين كما يجمعهم دينٌ واحد وقبلة واحدة، فإنه من الضروري أن تجمعهم منهجية واحدة في التلقي وقائدٌ أعلى في التأسّي، ولأجل ذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿115﴾﴾ سورة النساء 115، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه **"سن رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده سنناً، الأخذ بها تصديقٌ لكتاب الله واستعمالٌ لطاعة الله وقوةٌ على دين الله، ليس لأحد تغيير فيها، ولا النظر في رأي يخالفها، من اقتدى بها فهو مهتدٍ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولّاهُ الله ما تولى وأصلاهُ جهنّم وساءت مصيراً"** [الذهبي:، (021/3)]، قال الجنيد رحمه الله: "الطرقُ كلها مسدُودة عن الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتّبع سنّته ولزم طريقته، فإن طرق الخير كلها مفتوحة عليه" [ابن قيم الجوزية (464/2)]، وقال سبحانه في بيان التريث والتثبّت إبانّ التلبُس بصور العبادات بتعدُدها ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ سورة الحشر 7، كمعيار وميزان لعرض العبادات قولاً أو فعلاً أو عملاً على هدي النبي ﷺ إن وافقه تم الأخذ به، وإن خالفه رفض وترك، وهذه منهجية نافعة يافعة في تعليم أبناء المسلمين، بيان الحق الصريح لهم أولى من تعداد طرائق الخطأ، فمتى ما وقر الحق والصواب في قلب المسلم علم بعدها يقيناً أن ما خالفه ليس صواباً، وكانت النتيجة تجاهله والإعراض عنه.

- **النهي عن الابتداع في الشعائر والعبادات:**

فضماناً للبناء الإيماني السليم للمسلم وتشرّب شعبه غضةً طرية كما شرعها الله سبحانه، حذّر في كتابه في سياق جملة من الآيات النهي عن الابتداع في الدين، من خلال سَنّ أمورٍ في العبادات والاعتقادات

ليست من هدي النبي ﷺ ولا هدي صحابته والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ سورة الأنعام 153، والغرض من هذا النهي والتحريم إنما هو سد لذريعة الاختلاف والافتراق الحاصل في الأمة اليوم، فصيانة الموروث الديني من الكتاب و السنة وعمل سلف الأمة من الصحابة والتابعين هو الذي يحفظُ للأمة الإسلامية مرجعيتها في العقائد والعبادات وسائر الشعائر، فالتحذير حينئذ يقتضي أمرين مهمين:

الأول: يتمثل في جمع الأمة حول مرجعية إسلامية ثابتة راسخة أصولها وأدلتها وثوابتها.

والثاني: يتمثل في صيانة هذه المرجعية السمحة في أن يدخل فيها ما ليس منها، فيعبد الله بما لم يشرعه لا هو سبحانه ولا رسوله ﷺ ، وهذا هو عين الزيغ والانحراف والضلال، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة القصص50.

1.1.3 المسلك الأخلاقي .

التربية الخلقية أصلٌ أساس في عملية التربية الإيمانية للفرد المسلم، لذا عجّت سور القرآن الكريم بآيات وأمثال براقة لهذا الأصل، وهي بذلك جاءت على صنفين اثنين،

الأول: مسلك القرآن في الحث على التحلي بمكارم الأخلاق مع بيان فضلها وعظيم التحلي بها،

والثاني: مسلك القرآن في النهي عن التلبس بمساوئ الأخلاق، مع ذمها وبيان مغبّة عاقبتها، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- **الإشادة بالقرآن كدُستورٍ للأخلاق:**

أكمل الأمة إيماناً وأفضلها خلقاً وخُلُقاً وأحسنها هدياً هو خاتم الأنبياء والمرسلين محمدٌ ﷺ ، وقد بين الله ذلك مادحاً إياهُ بالقول:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ سورة القلم 4، قال مجاهد في تفسير الآية الكريمة: (خلقٌ عظيم) يعني: الدين، وعن سعيد بن هشام رضي الله عنه قال: **أتيتُ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت: كان خُلقه القرآن، أما تقرأ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾** سورة القلم 4، وأورد الطبري في تفسيره قائلاً: وإنك لعلى خلقٍ عظيم أي: أدبُ القرآن ودينٌ عظيم [ابن جرير الطبري، (457/09)]، فالقرآن حين يمدح النبي ﷺ إنما يقررُ خصاله الحميدة وسجاياهُ المرضية، وهو –أي القرآن- لا يكتفي بمدحه بحسب، إنما يدعو المؤمنين للتأسي بخلق القرآن العظيم الذي وسم به نبيه ﷺ واتخاذه منهجَ حياة ودستور انتقاءٍ لخصال الأخلاق

والآداب في العبادات والمعاملات والمعتقدات، قال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿21﴾ ﴾ سورة الأحزاب 21.

- **الوصية بفضائل الأخلاق والآداب:**

ومن أوجه ذلك ما ذكره سبحانه قائلاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿58﴾ ﴾ سورة النساء 58، ففي الآية الكريمة إشادة بخُلقين عظيمين تمثلا في خلق العدل، وخلق الأمانة، وسياق الآية يأتي في قالب التأديب الذي هو من أرقى مجالات الوعظ في القرآن الكريم، قال ابن كثير رحمه الله: "يعظكم به: أي يأمركم وينهاكم ويتوعدكم على ارتكاب المحارم" [ابن كثير، (282/01)]، وقال سبحانه في خلق الوفاء الوعد:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ سورة المائدة1، كما بين سبحانه جملةً من الآداب كإيفاء الكيل، والعدل في الحكم، والوفاء بعهد الله، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿152﴾ ﴾ سورة الأنعام 152.

- **الزجر عن مساوئ الأخلاق وذميم السلوك:**

وتجسّد ذلك في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿27﴾ ﴾ سورة النور27، فسياق الأمر في الآية مفادُهُ ارتباطُ موعظة أهل الإيمان بالدعوة إلى خُلُقي الحياء والاستئذان لئلا يقع المحظور، قال أبو السعود في تفسيره: "وقيل لكم هذا كي تتذكّرُوا وتتعظوا وتعملوا بموجبه"، [تفسير أبي السعود، ص: (168/06)].

ونهى عن البخل وذمه في قوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿180﴾ ﴾ سورة آل عمران180، فأردف سبحانه النهي عن البخل بذكر ما تؤول له عاقبة البخلاء المانعين حقوق الله في أداء زكاة أموالهم، وذلك بذكر مغبة مآلهم يوم القيامة.

- **الموعظة بالخلق الدمث والسمت الحسن:**

ومن أوجه ذلك جملة الأخلاق الجمة التي وعظ الله بها المؤمنين في سياق قصة لقمان الحكيم مع ابنه فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿13﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿14﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿15﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿16﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿17﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿18﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿19﴾ ﴾ سورة لقمان 13-19، فالمتأمل في الآيات الكريمات يجد مضامين تربوية مفعمة بمعاني الإيمان والأخلاق والعقيدة الواجب على المرء الأخذ بها والعمل بمقتضاها.

1.2 مسلك السنّة النبوية في البناء الإيماني:.

1.2.1المحور العقدي:.

بعث الله نبيه ﷺ ليقيم راية التوحيد ويقمع أدران الشرك، فعالج ﷺ منذ أن أوحي إليه الانحرافات العقدية برمّتها، وأسس للتوحيد وأقام دعائمه، وانتهج في ذلك أساليب شتّى كالوعظ والخطابة والرسومات البيانية والرسائل، مقرراً أصول الإيمان معرفاً بالله ورسله، ومرسخاً لعقائد البعث والنشور، والمستقرئ لحقبة العهد النبوي إبّان البناء الإيماني يجد أنها تجسّدت في ثلاث محاور رئيسة تلخصت في التالي:

- **دعوة اليهود والنصارى لعقيدة التوحيد:**

- دعا النبي ﷺ أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى تجريد العبادة وإخلاص الدين لربّ العالمين، ممتثلاً أمر الله له في محكم التنزيل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿64﴾ ﴾ سورة آل عمران 64، ومن جملة الأحاديث الثابتة في دعوة أهل الكتاب والبداءة بدعوة التوحيد لهم وإنقاذهم من مآل الكفر ما يلي:

حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما أرسله ال- دعا النبي ﷺ أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى تجريد العبادة وإخلاص الدين لربّ العالمين، ممتثلاً أمر الله له في محكم التنزيل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)﴾ سورة آل عمران 64، ومن جملة الأحاديث الثابتة في دعوة أهل الكتاب والبداءة بدعوة التوحيد لهم وإنقاذهم من مآل الكفر ما يلي:

نبي ﷺ إلى اليمن مبشراً ونذيراً قال له ﷺ: **"إنك تقدمُ على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوّحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلَتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تأخذ من غنيّهم فتردُ على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوقّ كرائم أموال الناس"**. [متفق عليه، البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد، برقم: (6937)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: (27)].

أيضا، ما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"**. [رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس، برقم: (218)].

- **وعظ المنافقين وتذكيرهم بسنن الله:**

فلمّا لم يَقِر الإيمان في قلوبهم لم يحرمهم النبي ﷺ من تعاهدهم بالدعوة وتزكية قلوبهم، قال تعالى لنبيه في حقّهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)﴾ سورة النساء 63، قال الطبري رحمه الله: "عظّهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم". [الطبري، 1435هـ،(156/05)].

ومن المواعظ المقصود تفعيلُ أثرها لدى المنافقين في تحذيرهم من الشرك الخفي وهو (الرياء) كذا تذكيرهم بسنن الله فيما إن تم صرفُ نوعٍ من أنواع العبادة لغير الله ما يؤول إليه حال صاحبه يوم القيامة، روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"يكشفُ ربنا عن ساقه، فيسجدُ له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهرهُ طبقاً واحداً"**. [رواه ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم: (267).].

- **ترسيخ مبادئ الإيمان في نفوس الصحابة:**

وذلك من خلال تصحيح الأخطاء والهفوات العقدية التي تصدر من الصحابة أو أبنائهم رضوان الله عنهم حيناً دون توانٍ، فكان ﷺ لا يدع مجلساً أو موطناً إلا واستغله لتذكير الناس بالله، مؤسِّسًا

فيهم روح التوحيد وعقيدة الإيمان، فعن عمر بن الخطاب ﵁أن النبي ﷺ قال: **"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنّما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسُوله"**، [رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، برقم: (3189)] ، وثبت أن رجلاً قال للنبي ﷺ: **"ما شاء الله وشئت!. فقال النبي ﷺ: أجعلتني والله عدلاً!؟، بل ما شاء الله وحده"**، [أحمد بن حنبل: المسند، برقم: (1839)]، والمتأمل في فقه الحديثين يجد أنهما مقرونين بنهي مفادُه الترهيب، وهو مسلك نبيل من مسالك الدعوة والتعليم، كما نجد أيضاً الدعوة الصريحة للإيمان من حديث معاذ بن جبل ﵁ لما قال له رسول الله ﷺ: **"يا معاذ!، أتدري ما حق الله على العباد؟، قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدُوه لا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟، قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذّبهم"**، [رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد، برقم: (6938)، واللفظ له]، ومن طرائق ترسيخ مضامين الإيمان في نفوس الصحابة نجده ص يرسخ ذلك المفهوم بدفع النفوس المؤمنة إلى معرفة ربها بصفات الجلال ونعوت الكمال والعمل بمقتضاها، قال ﷺ من حديث أبي هريرة ﵁: **"لله تسعةٌ وتسعون اسماً مائة إلا واحداً، لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنّة، وهو وتر يُحِبُّ الوتر"**. [رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، برقم: (6843)، واللفظ له]

1.2.2المحور التشريعي:.

ربّ النبي ﷺ صحابته تربية إيمانية مفادها اللين والتيسير، والفأل والتبشير وفق ما أوحي إليه من أوامر الشرع ونواهيه، في دينهم ودنياهم وأخراهم، كما سنَّ لهم من العبادات القولية والفعلية في مختلف الأزمنة والأمكنة لتزكُو نفوسهم ويقوى أثر الإيمان في قلوبهم، واقترن ذلك التشريع بشقيه في العبادات والمعاملات وفق ثلاث مراتب كالتالي:

التشريعُ بالوعظ:

ويقصد به إيصالُ الحكم الشرعي أو تبليغ الحكم التكليفي للناشئ ببيان فضل الإتيان به دون ذكر عواقب الترك أو التهاون، ومنه وعظ النبي ﷺ صحابته رضوان الله عنهم ضرورة أخذ الأحكام العقدية و التشريعية من القرآن والسنة، وأن لا يُنأ بأحد المصدرين عن الآخر كما تفعلهُ فرقة القرآنيين حالياً، الذين لا يرون للسنّة حجّية في التشريع، قال ﷺ: **"أيحسبُ أحدكم متّكئاً على أريكتهِ، قد يظنُّ أن الله لم يحرّم شيئاً إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني والله قد وعظتُ وأمرتُ ونهيت عن أشياءَ إنها لمثلِ القرآن أو أكثر"**. [أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، بابُ تعشير أهل الذمّة، برقم: (2652)].

وقال ﷺ واعظاً أصحابه عظيم قدر الصلاة وإنزالها مكانتها الجسيمة من الدين: **"إن العبد المسلم ليُصلِّ الصلاة يريدُ بها وجه الله، فتهافتُ عنه ذنُوبه كما يتهافتُ هذا الورق عن هذه الشجرة"**. [أحمد بن حنبل: المسند، برقم: (2652)].

وقال ﷺ واعظاً أبناء الصحابة عن حقيقة الحياة الدنيا مقارنة بالآخرة كما ثبت في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: **"من كانت الآخرة همَّه: جمع الله شملهُ، وجعل غناهُ في قلبه، وأتتهُ الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه: فرّق الله شملهُ، وجعل فقرهُ بين عينيه، ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّر له"**. [الترمذي: الجامع، برقم: (2465/01)].

- **التشريعُ بالترغيب:**

وهو إيصال الحكم الشرعي أو خطابُ الوحيين للمُكلف ببيان فضل فعل الأمر وما يترتّب عنه من ثواب أو جزاء، ذلك أن النّفوس ميالةٌ لاستخفاف الأحكام الشرعية والعمل بها ما علمت فضلها وأدركت عظم ثوابها وألمّت بكنه تعليلها، ومنه ما جاء في الصيام قوله ﷺ: **"من صامَ رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه"**، [رواه البخاري: كتاب الصيام، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً، برقم: (37/01)]، ومنه ما جاء في الحجّ قوله ﷺ: **"من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدتهُ أمّه"** [م/س]، ومنه أيضاً ما جاء في الترغيب بالصدقة وبعض فضائل سؤال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قال: (قلتُ يا رسول الله أخبرني بعملٍ يدخلني الجنّة ويباعدني عن النار؟، قال: **"لقد سألت عن عظيم وإنه ليسيرٌ لمن يسره الله تعالى عليه، تعبُد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت، ثم قال: ألا أدلّك على أبواب الخير: الصومّ جنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئُ الماء النار، وصلاة الرجل جوف الليل، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعمُوده وذروة سنامه؟، قلتُ : بلى يا رسول الله، قال: رأسُ الأمر الإسلام، وعمودهُ الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟، فقلتُ بلى يا رسُول الله، فأخذ بلسانه وقال: كفَّ عليك هذا، قلتُ: يا نبيّ الله: وإنّا لمؤاخذون بما نتكلمُ به؟، فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم –أو قال على مناخرهم- إلا حصائدُ ألسنتهم"**. [رواه الترمذي، الجامع، برقم: (321/03)].

- **التشريعُ بالترهيب:**

الزجرُ والترهيب من أنجع الوسائل لتربية النشء دون الإفراط في سرده، وهو إيصالُ الحكم أمراً أو نهياً بالفعل أو الترك مع بيان العواقب الوخيمة في ترك الأمر أو إتيان النهي، وهو منهجٌ نبوي فذ يستعمل مع العصاة أو المتمادي في المعاصي والمنكرات، أو في تصحيح النّيات، ومن أجود الأحاديث التي يستدلُ بها في هذا المقام حديث الترهيب من الرياء الذي هو موازٍ للشرك الأصغر وهادمٌ للإيمان، قال ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **" إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ**

الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ". [رواه مسلم، كتاب الأمارة، باب من قاتل للرياء والسُمعة استحقّ النار، برقم: (3638)] ، وقال ﷺ مبيناً عاقبة الأمر بالمعروف وعدم الامتثال به، أو النهي عن المنكر وإتيانه: **"يؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ".** [رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، برقم: (5439)].

1.2.3المحور الأخلاقي:

يعدُّ البناء الخلقي أساسُ التربية الإيمانية وقِوامها، ولذا جبلَ الله تعالى نبيه ﷺ على الخلق القويم، فعرِف بالصدق والعدل والحياء والأمانة، كما أفصح ﷺ عن مقصد التربية الخلقية حينما ربطها بالعقيدة، مؤكّدا أن الإيمان هو الرافد الأول للخلق الفاضل، ونلتمس في هذا المحور ثلاثُ محطّاتٍ رئيسة سلكها النبي ﷺ مع أصحابه إبّان التربية الخلقية لهم كما يلي:

البناء الخلقي وفق فقه الأولويات:

يولي النبي ﷺ في البناء الخلقي لأبناء صحابته تأصيل الأهم فالمهم في نفوسهم في شتّى المجالات وفي مقدّمتها العقائد، وبيت القصيد من ذلك يتجلى في تأصيل تلك الخصال في نفوسهم وثبات العمل بها في حياتهم، فلا هم يحيدون عنها أو يفترون عن العمل بها، و البناء الخلقي بمراعاة فقه الأولويات لا يُقصد به الجانب الأخلاقي مجرداً، ذلك أن مفهوم الخلق في الإسلام هو السجية أو الهيئة أو الطبع، وهذا عامٌ في العقائد والعبادات والمعاملات، فثمّة خلقٌ في العبادة والطاعة، وثمة خلقٌ في المعاملة، وثمة خلقٌ مع النفس ونحو ذلك، وقد جاء في الحديث ما يؤكّد فقه الأولويات في التربية الخلقية دلّ عليه قول النبيّ ﷺ لما قال لعليٍّ رضي الله عنه: **"يا عليّ، مَثَلُ مَن لا يُتِمُّ صلاتَه مثلُ حُبلى حملَتْ، فلما أن دَنا نِفاسُها أسقَطَتْ، فلا هي ذاتُ حملٍ، ولا هي ذاتُ ولدٍ، ومَثَلُ المُصلّي مَثَلُ التاجرِ لا يخلصُ له ربحُه حتى يخلُصَ له رأسُ مالِه، وكذلك المُصلّي لا تُقبَلُ له نافلةٌ حتى يؤدّيَ الفريضة".** [رواه مسلم، صحيح مسلم، برقم: (542/03)].

ويمكنّ أن نستشفّ ببعض اللطائف التربوية في ضوء هذا الحديث كما يلي:

- ضرورة التربية في تقديم الواجب على المستحب في قضايا الفرائض.
- أولوية العناية بالأدب مع الله قبل الأدب مع الغير، فيحسن الإنسان إقباله على ربه، هنداماً، ودعاءً.
- أهمية تقديم الفهم على الحفظ في قضايا الأخلاق أو العبادات أو العقائد، لتتأتى الممارسة الحية والسليمة في الواقع الملموس.
- ضرورة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والدائمة على العارضة.
- ضرورة تقديم المصلحة الجوهرية والأساسية على المصلحة الهامشية أو الشكلية.
- تقديم الراجح على المرجوح حالة التزاحم والتعارض.
- المفاضلة والموازنة بين الأعمال في الأقوال والأفعال، مرجعه نصوص الكتاب والسنة.
- إيثار اللذة الدائمة على اللذة العابرة.
- أولوية العلم قبل العمل.
- إزالة الضرر بقدر الإمكان، والضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه.
- يحتمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى، والضرر الخاص لدفع الضرر العام.

- **البناء الخلقي بإزالة ظاهر المنكرات:**

إزالة ظاهر المنكرات من أولويات المربي الواعي لما فيه من قطع ذرائع الشر وتحقيق المصالح، لذا نجد النبي ﷺ حرص أول دعوته لأصحابه أن يزيلَ المنكرات الظاهرة قبل الشروع في العملية التعليمية لهم، من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه [برقم: 4135]، من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثُ مآئة وستون نصباً، فجعل يطعنها بعُودٍ كان بيده ويقُول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿81﴾ ﴾ سورة الإسراء 181، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿49﴾ ﴾ سورة سبأ 49، وإزالة ظاهر المنكرات لا يقتضي قطع دابره فحسب، إنما يجبُ أن يوضع مكانهُ خيراً أو تغرسَ فيه فضيلة لئلا يراود المرء الرجوع لذلك المنكر أو الشوق للتلبس به من جديد، وقد أجاد كثيرٌ من العلماء وأفاد في شرح هذه المسألة الدقيقة، ومنهم ابن قيم الجوزية رحمه الله حيث أورد كلاماً نفيساً من الناحية العلمية والمنهجية، يستهجنُ فيها صنيع بعض المربين من حيث اكتفائهم بنهي الناس عن البدع دون بيان السُنن التي تسدُ ثغرتها وتحُل مكانها.

قال رحمه الله: "…. والثاني: أن تدعو إلى السنّة بحسب الإمكان، فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا بشر منه، فلا تدع إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب تركهُ أضر من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة من الخير، فعوّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النّفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلى مثله أو إلى خيرٍ منه….". أهـ [ابن قيم الجوزية، (215/2)].

- **البناء الخلقي عن طريق الرسائل والخطابات:**

استخدم النبي ﷺ الرسائل والخطابات إبّان عمليتي الدعوة والتربية على الإيمان، قال أنس رضي الله عنه : (كتب النبي ﷺ إلى كل جبار يدعوهم إلى الله)، وسمى منهم كسرى وقيصر والنجاشي، قال: وليس النجاشي الذي أسلم، [صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، برقم: (3323)]، وتجلى ذلك في أخلاقه ﷺ مع الملوك والأمراء وزعماء القبائل لما كان يراسلهم ويخاطبهم، فقد حوت تلك الرسائل الدعوة إلى خلق الإسلام وجوهر الإيمان والتذكير بنعم الله عزوجل، ككتابه ﷺ لهرقل عظيم الروم، وكسرى ملك الفرس، والمقوقس ملك مصر، وغيرهم من الملوك وأصحاب الزعامة في أقوامهم.

فمن أمثلة رسائله المشتملة على قمة التربية الخلقية المتضمنة الإيمان والعبادة والخلق، كتابهُ ﷺ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وفيها: **"بسم الله الرحمن الرحيم، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أما بعد: فإن من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول، من أحب ذلك من المجوس فإنه آمن، ومن أبى فإن عليه الجزية"**، فأسلم وكتب في ردّ الجواب: أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرك فكتب إليه ﷺ: **"بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلّا هو وأشهد ألا إله إلّا الله وأن محمّدا عبده ورسوله، أمّا بعد فإني أذكرك الله عزّ وجلّ فإنه من ينصح ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتّبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني شفّعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية** ". [المباركفوري، صفي الرحمان: الرحيق المختوم، ص (348)]، وهذه الرسالة دلالة واضحة لميزة الرسائل والخطابات الخاصة والسرية في قضايا التربية على الإيمان والدعوة للأخلاق وسائر شعائر الإسلام.

الخاتمة.

من خلال ما سبق، يتجلى للناظر المنقّب في طرائق النبي ﷺ ومنهجه إبان تعليم أبناء الصحابة وصغارهم مسائل الإيمان وأصول الدين، يستشعرُ دوماً قضية اقتران العملية التعليمية في مسائل الإيمان بالتزكية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (164)﴾ سورة آل عمران 164، فكان هديه ﷺ في الموقف التعليمي لهم مقترناً بتطهير القلوب وتزكية النفوس وإرشاد

العقول، ليتشرب بعدها هؤلاء المتعلمون مبادئ العلم والإيمان بخطىً ثابتة وقدمٍ راسخة، حتى زكّاهم الله بقوله في كتابه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ ﴾سورة الروم56، فكانَ العلم والإيمان وجهان لعملةٍ واحدة لا ينفكّ أحدهما عن الآخر بأي وجه من الوجوه.

كما يُلاحظ أيضاً توجيه الله عزوجل لنبيه ﷺ بالتّليّن والإشفاقِ على المتعلم رحمةً به ليبلغ مُرادهُ من العلوم والشرائع والأحكام فقال له:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ سورة آل عمران 159، كما وجهه سبحانه أيضا - أي نبيه ﷺ - إلى ضرورة التذكير بعد التعليم والتلقين ونهاهُ عن التقريع والإعراض عن المتعلم فقال له: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ④ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ⑩ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ⑪ ﴾ سورة عبس 3- 11، كما قصر سبحانه صفة التذكير في حق نبيّه محمد ﷺ فقال سبحانه:﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ㉑ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ㉒ ﴾ سورة الغاشية 21 - 22، قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فذكريا محمد عبادي بآياتي وعِظهم بحججي وبلغهم رسالتي ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾، .... إنّما أرسلتك إليهم مذكراً لتذكرهم نعمتي عندهم، وتعرّفهم اللازم لهم وتعظهم". [الطبري، ابن جرير: تفسير الطبري، (30-166)].

كما نلمس مبدأ التكرار في هديه الشريف ﷺ إبّان مباشرة الموقف التعليمي، والغاية من ذلك أن التكرار أدعى لرسوخ المعلومة، وفي التكرار طردٌ لكل نعاسٍ أو سرحان قد يحلّ بالمتعلم، كما فيه تنبيهٌ للغافل و ثباتٌ لمن ثقلَ فهمه واستصعب استيعابه، ولربما دلّ التكرارُ أيضاً على أهمية الموضوع أو الفكرة المراد إيصالها أو الحكم المراد تشريعه، والمشروع في التكرار ألاّ يزيد عن ثلاث إلا إذا طلب الموقف زيادةً فلا بأس به، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ: (كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً). [صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، برقم: (01-195)].

كما كان ﷺ يضيف الفائدة والفائدتين عقب سؤاله أو استفساره، ولا يكتفي بمجرد الإجابة عن السؤال المطروح فحسب، وهذا من كرمه ورحمته ﷺ بالمتعلم، بأن يضفي عليه من غزير الفوائد ولطائف الأحكام ما يعينه على فهم أمر دينه ودنياه، إبراءً للذّمة وإقامة للحجة، فقد سئل ﷺ عن إمكانية الوضوء بماء البحر لما طال الركبُ بالصحابة رضوان الله عليهم البحر وخشوُا أن ينفذ منهم الماء الذي يشربوه، قال لهم ﷺ: (هو الطهورُ ماءُه الحلُّ ميتتُه). [ابن أبي شيبة، أبو بكر: مصنّف ابن أبي شيبة1409هـ، برقم: (245/04)].

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن العظيم.
2. ابن أبي شـيبة، أبو بكر: **مصـنّف ابن أبي شـيبة**، تحقيق: كمال يوسـف الحوت، مكتبة الرشـد، الرياض، 1409هـ، برقم: (245/04).
3. ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء: **شرح الكوكب المنير**، تحقيق: محمد الزحيلي، مكتبة العبيكان، ط/2، 1418هـ.
4. ابن حجر العسـقلاني، أبو الفضـل أحمد بن علي: **فتح الباري شـرح الجامع الصـحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة،1379 هـ.
5. ابن فارس، أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر.د.ت
6. ابن قيم الجوزية، **أبو عبدالله محمد بن أبي بكر** (ت751هــ): **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1393هـ
7. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار الفكر، 1401هـ
8. ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، د.ت
9. أبوداود، سليما ن بن الأشعث: **السنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، د ت.
10. أبي السعود، محمد بن محمد العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت،
11. أحمد، ابن حنبل: **المسند**، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د.ت
12. الأزهري: محمد بن أحمد (ت370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبدالسـلام هارون، القاهرة، الدار المصرية، د.ت.
13. البخاري، محمد بن إسـماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: **الجامع الصحيح (الجامع الصحيح المختصر)**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة، 1407 هـ
14. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1412هـ.
15. الجوهري، إسـماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصـحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، 1359 هـ.
16. الذهبي، شمس الدين أبوعبدالله: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط/11، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1422هـ.

17. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد كيلاني، القاهرة، مطبعة عيسى البابي، د.ت.

18. السيوطي، عبد الرحمان بن أبي بكر: **الديباج على صحيح مسلم**، تحقيق: أبو اسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، ط/1، 1416هـ

19. السيوطي، عبد الرحمان جلال الدين: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م

20. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، (ت 790هـ): **الموافقات في أصول الفقه**، تحقيق : عبدالله دراز: **بيروت**، دار المعرفة ، د.ت، (490/04).

21. الطبري محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت، دار الفكر 1405هـ

22. العظيم آبادي، أبو الطيب محمد، (ت1329هـ): **عون المعبود شرح سُنن أبي داوود**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط/2، 1388هـ

23. القاضي أبي يعلى: **مسائل الإيمان**، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، دار العاصمة للنشر، الرياض، السعودية، 1410هـ

24. اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت418): **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، السعودية، 2010م

25. المباركفوري، صفي الرحمان: **الرحيق المختوم**، دار الهلال، بيروت، ط/1، 1992م

26. مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين النيسابوري: **الجامع الصحيح**، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د ت.